كولونيل أمبريلا

قصص : فرحان يدان

لوحة الغلاف : فرزان شرف

الإهداء : إليّ

الضَّوَاري

... ، وكانَ فايز الحَلبُوني مثلَ كُلِّ فلاحي بْيَار القطا ، رأى أولَ أمس ، كيف تَقَدَّمَ طراد المعَمَّر وألبَسَ ابنَه نواف عباءةً أبْهَتَ من بذرة الأكدنيا وأغمَق من حَبَّة لوْز ، ذات حواشٍ موشَّاة بخطوط من الحرير الواحد منها بعَرْض إصبعَيْن بلَوْن البَاشق ، ورأى العصافيرَ تَفرُّ من شجرة التوت عندما دَوَّى صوتُ الأمير الجديد أمامَ الحشد :

(... وأمنَعُ تعبئةَ الرَّوايا من المطخ ...) هَمَّ ابراهيمُ المقاليعي أن يسألَهُ : وكيفَ نُصَوِّلُ القمح ؟ لكنه عَدَلَ عن فكرته : (خَلِّي حَدا غيري يسأل !) ، تابعَ الأميرُ : (..وأطُخُّ كلَّ حَيَوان طليق يَرِدُ المطخ) ولمَّ أطرافَ عباءَته وصعدَ الدرجات الحجرية المنحوتة ، السوداء والمعشوشبة المؤدية إلى مضافته ، وبعْدَ أن تفرَّقَ الفلاحون أقفرتْ السَّاحَة إلا من كلابِه الثلاثة : سناسل ونمرود وطوقة ، فَبَدَتْ كأرض ثكنة عسكرية .

- غَضِيَّة ! .. وين البقرة ؟
- في الزريبة !
- مِشْ في الزريبة يا غضية !
- يا تعثيري !

ونهضَتْ تجاه الزريبة فلم ترَ سوى العِجْل الصغير ، وفي غمرة حيرتِهما سمعَ فايز وقْعَ أظلافها في أرض الدار فَقَحَصَ تَتْبَعُهُ غضية حافية ، لم تكترث " خَاضبَة " لقلقهما ، دخلَتْ إلى الزريبة ، لاقاها عِجْلُها ، مَهَطَ وسَنَحَ ، وعندما ربَطَها فايزُ إلى المعلَف لاحظَ أن جِلدَها مبللٌ بالماء وأن رِبْقَها مقطوع .

وتظاهَرَ فايز ، في فِراشِه ، أنه غَفا ، لكن غضية كانت تسمعُ بلعاتِ ريْقِهِ ، وكان يعرفُ أنها مستيقظة لكن لم يكلِّمْ أحدُهما الآخرَ ، وفي منتصف تلك الليلة نذرَتْ غضية صاعَ قمح وشمعتين للمزار ، وفَكَّرَ فايزُ أن ينهضَ مبكرا ويذهبَ لمقابلة الأمير نواف ويوضحَ له أن بقرَتَه خاضبة ، هي بنفسِها قطعَتْ حبْلَها ونزلَتْ إلى المطخ..

(هل يصفَحُ ؟ أمْ إنه مثلُ أبيه طراد : يجمَعُ أهلَ بيار القطا ويأمُرُ رجالَه بأن يدحَلوا فايز بأرجلهم في الساحة) وتخيَّلَ فايز نفسَهُ يهبُّ كالنمر من تحت أقدامهم ويلتقطُ حجراً صَلداً ويصوِّبُه إلى وجْهِ الأمير فيَقلبُهُ .. وحين ينقضُّ عليه رجالُ الأمير لسوف يضرب زعيمَهُم وحش بوحلّيط ويطرحُه أرضاً ثم يهربُ ..

(.. وزوجتي غضية ؟ هل أتركُها وحدَها ؟.. سوف يأمرُ الأميرُ رجالَه باغتصابها ، ولسوف يتداورون عليها ...) وهنا لبَطَ فايز اللحاف وجلسَ في الفِراش ، ذُعرتْ غضية وبَسمَلَتْ : خير شوباك ؟!

لم يُجبْ ، حاولَ أن يُبعدَ هذه الهواجس من رأسه وينام ، لكن الهواجسَ كانت ملتصقةٌ في ثنايا نفسه وقَاعِ روحِه (..أبعَثُ غضية إلى دار أهلها ..فإذا صارَ ما صار .. أخوتُها يَحْمُونَها..) وخطرَ له فجأةً :

(كيفَ سيعرفُ الأمير نواف أن خاضبة نزلَتْ إلى المطخ ؟! ..لقد نزلَتْ في الليل..لا مين شاف ولا مين دري ..) لكنه تذكَّرَ أن آثارَ أظلافها على الطين ستبقى واضحة .. ولكن مَنْ سيعرف أن هذه الآثار لبقَرتِه هو ؟ هل يدوْرُ الأميرُ على الزرائب ويفحَصُ أظلاف الأبقار؟ .. وقفزَ فايز من فراشه ، بحَثَ عن قطعة خَيْش ودخَلَ الزريبة وراحَ ينظفُ أظلافَ خاضبة من الوحْل ، وعندما عادَ لينامَ إلى جانب غضيَّة كان مقتنعاً أن أحداً لن يعرف بهذه القضية ، وضحكَ من نفسِه كيفَ أنه عَمِلَ من الحبَّة قُبَّة !.. فالمسألة ببساطة (.. حيوان ..راس طَرْش وعطشان !) وقَلَبَ على جَنبِهِ وحَضَنَ غضية التي فاجأتْها هذه الحركةُ ، ثم مَدَّ يَدَهُ إلى دكَّة شنتاها وأنزَلَهُ حتى كاحليها .

أفاقَ الأميرُ نواف على نُباح سَناسل ونمرود وطوقَة ، وعرفَ أن أحداً قد استهانَ بأوامره (..وتَمَرَّدَ على سُلطتي ..) وفَكَّرَ أنه إذا استهانَ بهكذا صغائر وهو في أول أيام حُكْمه (.. فلسوفَ يستظرطونني .. وليس مستبعداً أن يصلَ بِهم الامر إلى حَدِّ أنهم يبعصُونني وانا أمشي في الساحَة..) ورغمَ أنه لم يستكملْ – بعدُ – توزيعَ آذانه في الزوايا فقدْ كان واثقا أن كثيراً من الناس يتطوعون بمفردهم ، ودونَ أن يُطلَبَ منهم ، ودونَ مقابل ، لنَقل الأخبار إليه ، ولكن كيفَ يستثمرُ الاميرُ دَحَّامَ الذي اختارَهَ زعيما لزُلمِهِ ؟ .

ولم يكن اختيارُ دحامٍ عبثاً ، فايزُ ْ رأى دحَّامَ بأم عينه يقفُ راجلاً بين الخيول المتأهبة للسباق وإذْ أعطيَتْ شارةُ البدء خلَّفَ الفرسانَ وراءَه ، وأهالي بيار القطا أيضاً لم يلقبُوه عبثاً : وحش بوحليط ، لقد رأوهُ يضعُ كَتفَه تحتَ جَملٍ واقف ويرفَعُهُ ، وقد خصَّص له الأميرُ غرفةً وأمَرَ بنتَ عبد الجليل بتنظيفها وغَسْلِ ملابسِ دحام والاهتمام بطعامِهِ .

خُذْ ! وَعَدَّ له عشرين مجيدية ، وبعدَ منتصف الليل توارى دحامُ مبتعداً عن بيار القطا ، وقالت بنتُ عبد الجليل :

(.. أنا أيضا لم أنَمْ ليلتَها ، وكنتُ يقظة حينما عادَ دحام وخلعَ حذاءَه أمامَ غرفته ، لقد أمْسَكْتُ حذاءَه بيدي كان مبللا بالعَرَق وتفوحُ منهُ رائحةُ تِبْنٍ مالح ..)

في الصباح جاءَتْ سيارةُ لاندروفر من العاصمة وأثارتْ حولَها زوابعَ الغبار ، تَبِعَها الأولادُ حفاةً وتعلقوا بسُلَّمِها الخلفي ثم تقافزوا وهربوا لدى وقوفها قدام دار الأمير الذي خرجَ لإستقبالهم ووقف تحت القنطرة . وما أن تبدَّدَ الغبار حتى ظهَرَ في السيارة كلبٌ لتَتبُّع الأثر يرافقه ضابطان وسائقٌ ، وعندما فَرَدَ الأميرُ نواف ذراعيه ليصافح الضابط

الكبير بَدَا مثلَ خَفَّاش بُنِّي يستهطلُ المطر ، وإذ أُنزلَ الكلبُ وبَانَ ذنَبُهُ القصير وجانبُه الأيمنُ – المحلوقُ بالشفرة كما يبدو – انفجرَ الاولادُ ضاحكين وراحوا يحذفونه بالحصى وينبحُون عليه . وقال الضابطُ وهو يمضغُ الطعام : إنه كَلبٌ عظيم ! .. ضرَبَهُ لصٌ بسكين ، لكن الكلبَ تمكَّنَ منه وقتَلَه . وتابعَ الضابطُ الثاني : حَلقناهُ كي يتمكنَ الطبيب من خياطة الجُرْح ، دُهشَ دحام ثم نهضَ يناولُ الأطباقَ إلى بنت عبد الجليل من الباب الجانبي للمضافة وأخيرا ناوَلَها طبَقَ القشّ حيثُ (..حملتُهُ ومشيتُ على سطح التبَّان حتى أشرفتُ على حَوْش الدار من على ارتفاع مترين .. هَمَمْتُ برَمْي فُتات الخبز ونوى الزيتون للدجاجات عندما رأيتُ حركَةَ الكلبة – طوقَة أمام الكلب الضيف : هو مربوط من رقبته بسَيْرٍ جلديّ إلى حَلَقَة فولاذية مثبتَة بحائط الحوش .. وهي تقتربُ وتُديْرُ قفاها إليه ..وما إن شَمَّ رفثَها حتى ابتعَدَتْ ، فَارَ دَمُهُ ، شدَّ رباطَ الجلد دون جدوى ، سالَ لعابُهُ ونظرَ إليها كَمَنْ يتوسَّلُ ، وإذ تلاشَتْ مقاومتُهُ تقدمَتْ إليه من جديد ! فباغتَها هذه المرَّة ! ، وفارَ دَمُ نمرود .. ضَمَّ قفاه بحيثُ تعامَدَ طولُهُ مع الجانب المحلوق من الضيف ..وسمعْتُ ضحكاً .. كان الاولاد يتابعون المشهدَ منذ البداية وكان سناسلُ ينبُحُ عليهم وإذْ رمَاهُ أحدُهُم بحجَر رجَعَ سناسل وعضَّ الحجر ، وحين قلتُ للأولاد : روحوا ياشاطرين ! ... تغامزوا عليَّ بخبثٍ .نهضَ الضابطان لبدء العمل ، نزلَ الأولُ فاتحا أزرار سترته العسكرية حتى منتصف بطنه ، وفي قناة صدره التمعَتْ رصاصتان معلقتان بسلسلة ، وكانت ساقاه معوجتين وعجيزتُه ضامرة بطريقة لافتة ..نادى في الحَوْش :

(.. رياح ! .. تَعْ .. خوخو ..) ثم اقتربَ وفَكَّ سَيْرَ الجلد من الحَلَقَة وأخَذَ يشدُّ رياح وهو يقول بصوت خفيض ، كَمَنْ يخشى ان يسمَعَه أحدٌ ! : تاع ..فُؤفُؤ .. ولكن دون جدوى ، جاءَ دحَّام ، وَضَعَ كَفَّا على قفا الكَلْبَة وكَفَّا على قفا الضيف وقالَ يا كريم .. فانفصَلا ! .. نامَتْ طوقَة في فيء الحائط ، وصارت تُراوحُ بين عينيها وتفتَحَ حَلقَها للذباب حت يحتشدَ ثم تضُمُّ عليه وتأكُلُه.. أما الكلب الضيف فظلَّ واقفا بُرْهَة ثم انبَطَحَ !.. وسناسل يُفلتُ حجرا ويعضُّ على آخر.

بدأَتْ مهمَّةُ الكلب من المطخ ، ثم قادَتْهُ رائحةُ الروث واللصْخات الطريَّة إلى الزقاق الفاصل دارَ فايز الحَلبُوني عن دار ابراهيم المقاليعي ، توقفَ غرْبَ زريبة فايز المشيَّدة من حجارة سوداء صلدة وذات حائط سميك بارتفاع مترين .. وأمامَها حَوشٌ صغير بلا سقف لحوائطه الإرتفاعُ ذاتُهُ ، في اللحظة التي أدارَ فيها الكلبَ خطمَهُ تجاهَ زريبة فايز كانت البقرةُ في هذا الحوش وعِجْلُها يتقافزُ حَوْلَها .. ولحظةَ قفزَ الكلبُ من الزقاق على خابية معضاد ومنها إلى حائط الزريبة كَادَ قلبُ فايز ينُطُّ من أذنهِ ، أمَّا البقرة فقد جَعَلَتْ عِجْلَها وراءَها واستدارَتْ في مواجهة الكلب ، ذُعِرَ الكلب من تأهبها وتردَّدَ قليلا ثم قفزَ إلى داخل الحوش .. لكن البقرة انقضَّتْ عليه في حركَةٍ خاطفة **ولَزَقَتْهُ** بقرْنيها على الحائط قَبْلَ أن يَصِلَ الأرض ، وراحَتْ تضغَطُ على خاصرته المحلوقة دون أن تَتْرُكَ له فرصةً ليَنْزَلقَ أو يتحركَ .

وكان الضابطان يتابعان عَمَلَ الكلب في زهُوّ .. واعتبروا أن مهمتهم قد أُنجزتْ بنجاح فارتفاعُ الحائط حَجَبَ عنهما ما كان يدور في الحوش وانشغلوا بالتَّنَدُّر بفايز الحَلبوني :

(.. ولَكْ فِكْرَكْ الشَّغلة هِيْكْ ... سايبة ! ..) وعندما تأخرَ الكلب بدأ الزُّهُوُّ يتسَرَّبُ من نفوسهم وتعَربَشَ دحامُ على حائط الزريبة ، فأحَسَّ ، هو أيضاً ، أنه مهزوم .. اقترَبَتْ غضيَّة من البقرة ونادَتْها :

(.. خاضبَة ! .. تعي .. تعي ..) وإذْ استدارَتْ البقرةُ سقطَ الكلبُ مَيْتاً .

وقالت لي بنتُ عبد الجليل : كُنتُ في هذه اللحظة أُطِلُّ على الزقاق والحَوْش من الشرفة الشمالية التي أمامَ مضافَة الأمير نواف .. الشرفة التي تستطيع منها أن تقطفَ من شجرة التوت ، الشرفة التي كان أبُوهُ طراد المعَمَّر يُشْرفُ منها على كُلِّ بيوت بيار القطا وعلى المِطحَنَة ، والمطخ ، ودروب الحصَاد ، والمزار .. وكان ينظرُ إلى الأراضي البعيدة بمنظار مُقرِّبْ ! .

حكايات تنفجرُ كلَّ صَباح

آ – حدَثَ

تَسَمَّرَ قُدَّامَ التلفاز وعيناه عالقتان في الشاشة. صاحَ فجأةً:

يخربْ بيتكُن على هالكذبي

نهضَتْ زوجتُه وأغلقتْ النافذة .

تسَمَّرتْ قدام التلفاز وعيناها عالقتان في الشاشة.صاحتْ فجأةً :

يخرب بيتكن على هالكذبي

نهضَ زوجُها وأغلقَ النافذة .

تسَمَّروا قدام التلفاز وعيونهم عالقة في الشاشة .صاحوا فجأةً :

يخرب بيتكن على هالكذ ..

لم ينهض أحدٌ كي يُغلقَ النا ...

ب – شَفقَة

تصادفَ أن نجوْنا من المذبحة : أنا وأخي وابني .اقتربَ رقيبٌ في يده بندقية وقال :

ابصقوا في وجه . لم نُجب. خلعَ حذاءه وقال: اصفعوني بحذائي . لم نحرك ساكناً .

مَدَّ يده بالبندقية وصاح : اقتلوني .. اقتلوني ي ي . بكى أخي وصاح بنا :

أليس في قلبيكما رحمة ، ثم خاطب الرقيب: هاتْ أخي هاتْ .أخذ البندقية وقتله.

استدار نحونا ، تأمَّل يديه وقال:ابصقا في وجهي . لم نُجبْ . خلع حذاءه وقال :

اصفعاني بحذائي . لم نحرك ساكناً . مَدَّ يده بالبندقية وصاح : اقتلاني ..اقتلاني ي ي
بكى ابني وصاح بي: أليس في قلبك رحمة ،إنه أخوك ، هات عمي هات
أخذ البندقية وقتله. استدار نحوي . تأمل يديه وقال:ابصقْ في وجهي. لم أجب .

خلعَ حذاءه وقال : اصفعني بحذائي. لم أحرك ساكنا. مدَّ يده بالبندقية وصاح :

اقتلني ! اقتلني ... ي ي . بكيتُ وصحْتُ:

ج – تشخيص

أبلغني المخرجُ : أنتَ ماركوس بروتوس ..

وحين ظهرتُ على الخشبة ببدلة مكوية ، وربطة عنق ، وياقة منشَّاة

أقلعتْ قاذفتان :

الأولى طارتْ من الماء وراحتْ تقصف الضوء

الثانية طارتْ قبل الضوء وراحتْ تدمِّرُ الماء.

د – مقبَرة

عندما كنتُ على قيد الحياة كنتُ أرى في نومي أنني ميت . والمنام الذي أراه يتكرر دائما، لا يتغيَّر ، ولا يحيْدُ عن مساره : أنا أنتظرُ الفجر. انتظاري يطوْل .أطراف أعصابي تبدأ في التمزُّق. أحسُّ ، أول الأمر ، بنوع من الخدَر، والتنميل في أصابعي ومفاصلي وسرعان ما يبدأ الألم ينبض كألم الأضراس، أبلعُ ريقي وأتألمُ صامتاً.غير أن الألمَ يتسارع ، يتقدَّمُ ، يجتاحُ خلاياي يقوض طاقتي على الاحتمال.أبدأ الأنين .أشعرُ أن ثمة نقْلة ، مثل رمشة عين ،بين الإدراك والإغماء. وأثناء هذه الرمشة ، أفطنُ أنني ميت.وأنه ، بالنسبة إلي، كَ ميت ، لا فرقَ بين الليل والنهار. وإذْ أفطنُ تنبثقُ من أعماقي غيوم ناعمة تنثُّ أسىً في ثنايا نفْسي، فأوقنُ أنني ممدَّدٌ في قبري وأنني من مكانيَ هذا، لن يكوْن بمقدوري أن أميزَ بين الليل والنهار سواء كنتُ حياً أو ميتاً.أهجسُ : أأنا ميت ؟ أمْ استيقظتُ في القبر مثل أنصاف بنت كايد؟ أبتهلُ إلى الله ، أدعوه أن أكوْن ميتا . كان ذاهبا للحصاد يقوْدُ حمارَهُ الرمادي في درْب المقبرة قبل طلوع الفجر:وين راحووووو...ووو .. انطلقتْ صيحةُ أنصاف من قبرها .توقَّفَ الحمارُ بغتةً ،باعدَ بين قائمتيه الخلفيتين وأخذَ يبوْل.

وأضاف بوشحاذي : الحمار يفهَمُ أهوال هذه الصيحة .أوشكتُ أن أصيح : وين راحووو .. لكنني استدركتُ : لماذا أردد كالببغاء صيحةَ أنصاف؟ هل أنا حيوان في قطيع ؟

أنا مثقف وينبغي أن تكون لي صيحتي. ولكن ماذا أصيح ؟ وجدتُ نفسيَ أصرخُ :

بوشحاذي ي ي ي ي . صيحتي لم تصلْ فضاءَ فمي ، ولم تخرجْ منه

وأبو شحاذي ميت . مات قبلَ عشرين عاماً .

هـ – رقصَة

وأنتِ نائمة في بهو المزارْ ، قالت أختكِ التوأم :

قومي ارقصي يا نخلة البستانِ

أختكِ الأكبر منكِ بأربع دقائق ، والتي على زندها الأيمن شامة صغيرة

مثل حبة البَرَكة ، تماماً ، كالشامة التي على زندكِ الأيسر .

ورغمَ أنَّ أمكِ كانتْ تعرفُ هذا الفارقَ الطفيفَ بينكما فقدْ كانتْ ، وأنتما طفلتان

تربطُ حولَ معصمكِ شريحةَ قماشٍ خضراء ، بعرْضِ إصبع ، كي تميزكِ

عن أختكِ : كي لا تحممكِ مرتين . أمكِ كانت قد أخذت الشريحة الخضراء

من هذا المزار ، حيث تناميَ الآن . أمكِ التي ترفَّقَ الله بها

كي لا ترى هذا النهار ، ولا تسمعَ صراخَ أختكِ ، وعويلها

وهي تصيحُ في فناء المزار : قومي ارقصي يا نخلة البستانِ

حينَ في أحلامنا يجُولُ الموتى

حلمتُ أن أمكِ المتوفاة تقول لكِ : لازم إرجعْ قبل ما يطلع الضو .

ثم ابتعدتْ في الزقاق الضيق بين قنطرة سالم وخربة الداهوك وأنتِ تتبعينها .

اتجهتْ إلى المزار ، إلى حائطه الجنوبي ، المشيَّد بأحجار الدَّبش السوداء ..

الخشنة والمتجهمة . أمكِ دخلتْ من هذا الحائط عائدةً إلى موتها .

وإذْ رأيتكِ توشكين على الدخول وراءها صرختُ بكِ : توقفي ..

وأمسكتُكِ من يدك . أمسكتُكِ من معصم ذراعكِ اليسرى وشددتُكِ .

كنتِ ، قال ، مصممة على الدخول وراءها . صرتِ تقاومين .

اضطررتُ أن أصفعكِ في وجهك . صفعتُكِ وجذبتُكِ إليَّ بقوة .

كنتِ ترتعشين على صدري مثل عصفورة .

في صبيحة اليوم التالي تذكرْتُ هذا المنام . وما إن خطرتِ ببالي

حتى رنَّ هاتفي وسمعتُ صوتكِ : عمْ استنَّاكْ .

جلسنا على الشرفة . وضعتِ صينية القهوة على الطاولة ..

ورحْتِ تحدقين في قرميد الكنيسة ..

وحين طالَ شرودكِ ملأتُ فنجانكِ أولاً ورشفتُ رشفةَ ماءْ .

قلتِ : رأيتُ أمي في المنامْ ..

رجوْتُها : خليكي شوي منشان الله

قالت : لازم إرجع قبل ما يطلع الضَّو

ورأيتها تبتعد في دربٍ ضيق ، كأنه زقاق . عن شمالها قنطرة وعن يمينها

حجارة سوداء متهدمة تبدو كبيت مهجور ، أو خربَة

اتجهتْ إلى بناء حجري عليه قبة بيضاء كأنه مزار .

حائطه الجنوبي من حجارة سوداء متجهمة : أمي دخلتْ من هذا الجدار .

وإذْ هممْتُ بالدخول وراءها سمعتُ صوتكَ : توقفي

وأمسَكتَني من يدي . أمسَكْتني من معصم ذراعي اليسرى وشَدَدْتَني .

كنتُ ، قال ، مصممة على الدخول وراءها . أنتَ تشدُّني وأنا أعاندُ : أقاومك .

ورأيتكَ ترفعُ كفَّكَ اليمنى وتصفعني في وجهي . صفعتَني ، وجذبْتَني إليكَ بقوة ..

صرتُ أرتعشُ بين ذراعيكَ مثلَ زغلول .

.. ، ولها أيضاً ، على جانبها ، بَكَرة معدنية سوداء بحجم الصاع وضعوا فوقها سيراً جلدياً عريضاً ، ثبّتوا طرَفه الآخرَ في جرار زراعي فوق اسطوانة معدنية دوّارة يضبطُ سرعَتها محركُ الجرار نفسه .ويُلقّمون هذه الآلة حجارةً بيضاء في حلقها المخروطي الكبير ، فإذا اشتغلَ محركُ الجرار بدأتْ هذه الآلة المرعبة بطحن الحجارة أو تكسيرها إلى حصى فينبعث غبارٌ ثقيل شاحب يرتفع بطيئاً ثم يهبط فيغطي وجوهَهم وأوراق الأشجار وبلاطات الرصيف .

ورأيتهم ينقلون الحصى في عربة ذات عجَل واحد إلى ورشة بناء مجاورة تضجُّ بالحركة والغبار ، وإذْ صرتُ بقربهم توقف الشابُّ الذي يدفعُ العرَبَةَ وأفسحَ لي ، فشكرتهُ وأنا أنتقي مواضع قدمي خشية أن أتعثرَ بقضبان الفولاذ وأسلاك الكهرباء الخضراء ، ولكنني توقفتُ لحظةً وأنا أرى أن الشخصَ الذي يحمل الحجارة إلى حَلْق الآلة امرأة . وإنها شابة بثياب سوداء جَلّلها الغبارُ الأبيض ،فنسيتُ نفسي وأنا أتابع حركتها الدائبة بين كومة الحجارة وحلق الآلة وسط هذا الضجيج الذي يسبب الدوار ، ولم أفطن إلى الغبار الذي دخل رئتيَّ مثل لوثة لاذعة لها مضاء الطعنة المباغتة .حبستُ أنفاسي في منتصف الشهيق وأنا أشعر بوخزة قصيرة وطَعم راسب كيميائي يلتصق بالرئة ويسُدُّ المسام فابتعدتُ إلى رصيف قريب وبدأتُ سعالاً جافاً وخانقاً ومتصلاً ، وحين هدأتْ رئتاي نظرتُ إلى غيمة الغبار مُشفقاً على المرأة التي كانت في تلك اللحظة تحمل الحجارة بيديها وعلى صدرها مُقْبلة تجاه الآلة ،فلاحظتُ أنها تحمل شيئاً على ظهرها ، اقتربتُ قليلاً وانتظرتُ حتى أدبرَتْ فانقبض قلبي وأنا أرى طفلاً في جراب قماشي مثبت على ظهرها ...كان الطفل نائماً يغطي وجهه الغبار ، ولأول مرّة أذهلُ عما حولي إلى هذه الدرجة ، فقدْ مشيتُ إلى موقف الباص كمن يمشي في نومه ووقفتُ بين المنتظرين ولم أنتبه لصديقي الذي كان بينهم والذي أخرجني من شرودي : صباح الخير . ولمسني على كتفي بخفة .. فأجفلتُ .ثم مددتُ يدي وصافحته صامتاً .نظرتُ إليه بعد برهة وقلت: تعال أريكَ شيئاً ، تبعني دون أن يقول شيئاً ، وإذ انعطفنا تجاه الشارع وبانت الكسارة وغيمة الغبار توقفَ وقال : إنها معلمة ، أقصد كانت معلمة .سألته إن كان يعرفها فقال: هي زوجة راشد . قلت : راشد مَن ؟

قال :راشد العاقل . سألته : الرسَّام ؟ أجاب : نعم . قلت : وكيف يتركها تعمل هنا ؟

همسَ لي: قبْل عام كان معرضه الأول وقد رسمَ في واحدة من لوحاته حَمَلاً يطاردُ قطيعاً من الذئاب .

- ... .

- لأ

- خذوه إلى القبو

راديو : يوم ، ويومين ، وجمعة ، وشهر ، وشهرين

- والآن ؟

- لأ

- أعيدوه إلى القبو

تلفاز : عشرين مرَّة إجا وراح الثلج

- ها ؟ والآن ؟

- لأ

- يا بني آدم أسنانك مخلعة ، مريض سكَّر ، حصى بالمرارة ، انفصال شبكية ، زحار مزمن ، أنكركَ أولادُك ، هجرتكَ زوجتُك

حزبكَ صار أربعة ، أمُّكَ قالتْ : حامل السلم بالعرض ..

وأنت ، لأنكَ راسْ طرْش ، تظن نفسكَ بطلاً

ولكْ يا جحش : أربع كلمات من النشيد الوطني انطقها وانقلعْ

- لأ

يوتيوب : (هذا المقطع لمحمود درويش)

عرْشٌ على أرجلٍ قطَّعتْها الدروبُ التي

أوصلتْنا إلى كل بيتٍ سوى بيتِنا

وِلد الفهيدي

يا من تسلمون . قبل دور العرب الرحيل والنزيل بي حكيم العشيرة والعشيرة حكيم العشيرة . وحكيم العشيرة طالت عماركم مات . باقي من ضنى الحكيم وليدٍ يقولون عنا مهبول .الوليد يا وليدي يمشي بالشول يحكي بروحه ويفلي ويسلي

جَاهُم يا محفوظ البُقا والسلامه مَحل . المواشي ، الأباعر ، القنم وكلٌ الحلال دْهَرّْ والسيف صار محراث . اجتِمعْ يا الزلم بالليل تقولن تعليلتنا هجيظان وقالو وين نصد شيبة ضرير قال : ولد الفهيدي .يا عُونك ! .أبيك من الغد تمشي الشول تدوّرْ ولد الحكيم وترد . يُمَّا ! يما ! أريد زهاب ما ينحط عَ النار.ومشى برجولا بيدا زوادة بيها زهاب ما ينحط ع النار.يمشي قليلٍ يمشي كثير عْمار السامعين يطولن كثير بلادٍ تشيله المضارب تحط بيه لين طابٌ بأرض السعلو وما يدري

لين السعلوات ناسفاتٍ ثداياهن ورا .. قب يا ظاك الزلمي وارضع ثدايا السعلوة الكبيرا

شْ بيكْ يا وليدي .. هاظا انتي يا السعلوة الكبيرا

وِلد الفهيدي زلمه ، ولدْ عَربْ ، ولد الفهيدي ذِهين

لين قالت : شْ بيك يا وليدي ش قال ؟ قال أدوَّرْ خوي

لين قال ادور خوي تقولن قليب السعلوة الصقيرة رقٌ لَ ولد الفهيدي

السعلوة الكبيرة قالت ياوليد انت من الانس والشول كل هاظا الشول ما بيه ريحة انس

يختي . هاظا انتي يا السعلوة الصقيرة : يختي . لدت عليها قولتن روي

قال يختي بلعون بي مخلوق من الانس بمغارة فراي موووو ي

السعلوة الكبيرة قالت ل ولد الهيدي تندل مقاة فرا ي موو قال اندل .قب يا ظاك الزلمي واقصد مقارة فراي موو ي . لين طب مقارة فراي مووي جاونا جاعد يحكي بروحا ويفبي ويسلي .

تسوي شنون ؟اكل غداي . وبعد ؟ قال اقتل عدلي . وبعد؟ قال ارمي بلاي

بالعون انك ذهين . ولد الفهيدي يحكي بروحا . سنين محيلة تندل ابوك ش قال؟

قال اندل . روي . لو نويتو ترحلون لزومن ان الرحول تعرف وين تصد . روي

بكرات اربع ما شمن ريحة فحل كل بكرة تصد ل ديرة اللي تصبح ويصبح فوق

قرتها ندي ديرة عمار قب يا ظاك الزلمي رد ل هلك . جابو النوق .ناقة بكر ما متريحة فحل تصد جنوب ناح الشام .على ضمير السالفة لين اصبحن لن الناقة البكر الناقة ال ما شمت ريحة فحل الناقة اللي تصدجنوب ناح الشام فوق قرتها يداهل ندي شنو عرق قالو ديرة عمار يامن تسلمون.

أفنى وأورقُ في ممرك

لم ينتفخْ بطنُها

عامان لم يُرزقْ بطفلْ

جهْمَانُ يغفو واقفاً

جهمانُ يعْثرُ بالطناجر والكثهْ

.

أذَلَّني خطُّ حبَّةِ قمْحْ

.

كأننا جوقةٌ من أثينا

اسْلقي حبَّة قمح أمَّ جهمان

حبةَ قمحٍ بَضَّةً

خطُّها واضحٌ

ككلّ خطوط الإناثْ

كي يفُكَّ الخط

.

شيحانُ في الغرب . تلُّ الغزالة في الجنوب . وفي الشرق صُعُدْ.

غوراسُ ينهضُ في الشمال .على تخوم السهل ، سهل هورا ،غوراس ينهضُ

غيمُ غوراس : غيمُ تل الخالديةِ في الشمال .

هنا ندللُ باثاغوراسَ. نناديه غوراس .قابل الصورة . مولى النفس فيثاغورس

هنا تلال السنديان . ذاك مطخ السَّرْج . هنا كهفُ المدَيحْ

هذا شقيفُ الزاعقة ..انظر إلى دَرَج المزار، شُمَّ شيْحَ المسيْلْ

ذُقْ عروقَ الكزبرة واصغِ لبوح القمح في الحَنوةْ

تأمَّلْ دروبَ النمل حيثُ شجَّ الصقر صدغَ أسخيليوس ببيْت السلحفاةْ

طائرُ السيمرغ شرقيَّ سَبأ .. والزَّراعي غربَ غوراسْ

.

دَسْتُ النحاس على بابور كازْ

بخارُ زنجبيلْ . زبيبةْ وإبرةُ ملحفة :

يالابس الأحمر

باركْ لنا قمحَنا وزبيبنا

شكّيْتْ خط القمح بالإبري لَ وصلتْ للزبيبي

نادوا مَرتْ جهمان

.

.

يازينة المحضر

هذي مرتْ جهمان ما عندا ولدْ..

تثاءبي ياغالية فوق البخار لتحبلي

.

جهمانُ قدام المضافة ينتحبْ

.

ناسَ ضوءُ السراجْ

ارتجفتْ ظلالُ القنطرة

.

فوق سُرَّتها دموع

.

توقَّفْ أيها المشَّاءْ ! جاء بيركليس

أهلاً بقائدنا الفتيّْ

ليكن إلهُ الشمس في قلبك

وتاجُ كسرى هاجسك

ومجدُ أثينا في يديك

باثاغوراسُ العزيز!

قلْ لنا : ما الشمس ؟

حجارةٌ حمراءُ ساخنةٌ

وهذا الكونُ ، باثاغوراس العزيز ، ما أصْلُه ؟

أصلهُ عددٌ ثنائيٌّ

عددٌ كإيقاعٍ وموسيقا

عدد كخفقة قلبْ : راحةٌ / حركةْ

أليس هذا مايقول الفرسُ عن مَزدا؟

أنعبُدُ ، يا غوراسُ ، آلهةَ العدو ؟

لنسمعْ هتافَ الشعب!

الشمسُ أبولو

وأبولو إلهٌ

لا حجارةْ

فلتطردوا غوراس

اطردوه .. أو اقتلوه

.

.

ينفى الى رودوس

.

.

يا آمرَ الجند

طوحْ به في بحر إيجة

.

.

اقذفوه إلى أهورا

مَن أهورا أنتَ الآخر ؟

وهل أنا فيلسوف؟ قالها رجل رواقيٌّ وأنا سمعتُهْ

.

.

اهدأوا ! غوراس يطلبُ الكلمةْ

اصمتوا لنسمع ما يقول

ماضٍ إلى أرض العربْ

لا شأنَ لي بالفُرس أو بابلْ

.

نبكي كما في جوقةٍ

منفىً مكوثكَ بيننا

منفىً ذهابُكَ للبعيدْ

سافو بكاءُ البارحةْ

واليومَ غوراسُ المجيدْ

.

يا قابلَ الصورة

دخلتُ بيتكَ حافيةْ

.

مُهرةٌ بيضاء

في غيم غوراس تطيرُ

.

كحبة قهوةٍ خضراء

بين نهديَّ ينامُ ويحلمُ

خذوا جندبَ البوْر

مَنْ أهوى ينامُ ويحلمُ

.

أفنى وأورقُ في ممرك

خاطبتني من صورتي

.

.

ابتهالْ

إنتي بتكرهي الصيف كمان ، مو بس الشتي

بالصيف بيركضوا الأولاد يشتروا بوظة . ابنك ما معو مصاري

إبنك ما بيركض معهن . ابنك بيوقف بعيد . بيوقف لَ حالو

واليوم عيد ميلادو . صرتي تتذكري حياتك السابقة ، بالجيل الماضي يعني

لما كان عندك ولد . ويركضوا الأولاد يشتروا بوظة . وابنك ما معو مصاري

ابنك ما كان يركض معهن . كان يوقف بعيد . يوقف لَ حالو

وكان عيد ميلادو وما انعاد عليكي

إنتي هلق بالغرفة الرطبة بالقبو . إنتي وإبنك ، واليوم عيد ميلادو

يمكن ينعاد عليكي

وإذا ما انعاد عليكي ، إبنك رحْ يكبر ويتجوز ويصير عندو ولد

ويركضوا الأولاد يشتروا بوظة ، وإبنو ما معو مصاري

إبنو ما رحْ يركض معهن . إبنو رحْ يوقف بعيد . يوقف لَ حالو

انشاالله ما بْ ينعاد عليكي

كولونيل أمبريلا

في مؤتمر الموارد الإستراتيجية ، أعطيتِ الكلمةُ للعقيد شبلي التل . فوضعَ كُلٌ منَ المارشال الروسي .. والقومندان الياباني .. سماعات الترجمة على أذنيه . بدأ العقيد كلامَه:

" تؤججون الحرائق ، والحروب ، تقصفون الضوء ، تدمرون الماء ، تقوضون الحضارة ثم تتحدثون عن الموارد . ليست الموارِدُ فولاذَ بوارجكم ، ولا تنكُ طائراتكم ، الموارد همُ البشر . عن أي ردعٍ وأي تنمية تتحدثون ؟ إن عدد سكان الصين مليارٌ وربع المليار ، فلو أنهم قفزوا عن الأرض دفعةً واحدة فلسوفُ ينفلتُ هذا الكوكبُ من مدارِهِ وتطيرُ نساؤنا في هيولى المجرَّة ، وتنكشفُ أشياؤهن الخاصة ، والسريَّةللأشعة فوق البنفسجية .. "

ثم اقترَحَ ، في سخرية توشّيها المرارةُ ، ربطَ النساء ، منذ اللحظة ،بمظلات خاصة أسْهَبَ في تفاصيلها .. فانفجرتِ القاعةُ بالضحك ، وانفرَطتْ الجلسَةُ الإفتتاحية ، وصمتَ أعضاءُ الوفد الياباني ، وكان مقرراً أن يقضوا أسبوعاً في العاصمة ، غير أنهم اعتذروا فجأةً وعَادوا إلى بلادهم بألوانٍ مخطوفة . وصار لقب العقيد شبلي التل منذ ذلك اليوم **الكولونيل أمبريلا** : لقد فاضَ لقبُه وطغى على اسمه .
أمَّا حكايةُ إعتقاله فيتجاهلُها السياسيون ، ويتهامَسُها البُرصُ ، ويمجِّدُها المجانين :

ففي يومٍ ماطرٍ وبارد جالَ قائدُ الإنقلاب على الوحدات العسكرية ، تقدَّمَ الكولونيل أمبريلا منه وسألَهُ : لماذا **تنفخُ** في كَفَّيْكَ سَيدي ؟ فارتعبَ قادةُ الألوية ، واضطربَ المرافقون وحبَسَ الحاضرونَ أنفاسَهم .. قال القائدُ : كي أدفئهما طبعاً ! ..ثم خطبَ فيهم وقال إنه نذرَ عُمرَهُ للوطن وأن الإستعمار سوف يخسأ وأمَرَهُم أن يَرضَعوا الحليبَ من فوَّهات البنادق .. وحين دخلوا إلى المقرّ قدَّموا له شايًا ساخنا رفعَ الكأسَ ونفخَ فيه .. فقال له الكولونيل أمبريلا : سيدي لماذا **تنفخُ** في الكأس ؟ ..
تصَنَّعَ القائدُ التبَسُّطَ وقال : كي أبرِّدَهُ طبعاً !
عندَها ، نطقَ الكولونيل أمبريلا جملتَه الضارية:

لا أثِقُ بالفَمِ الذي ينفِثُ الساخنَ تارةً والباردَ تارةً أخرى ! .

F.Ridan